

إشكالية ترجمة المصطلح

في البحوث السيميائية العربية

رشيد بن مالك

## مقدمة منهجية:

سنسعى في هذه المداخلة إلى فحص إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة وصياغة بعض الحلول لتجاوز التضارب الموجود بين الدارسين إنطلاقاً من البحوث الآتية:

- بيير جيرو، علم الإشارة، السيميولوجيا، ترجمه عن الفرنسية الدكتور منذر عياشي، ط1، دمشق، دار طلاس، 1988.
- بيار غيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى، 1984.
- Pierre Guiraud, *La sémiologie*, P.U.F, Paris, 1973.
- آن إينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ترجمة د. أوديت بتيت ود. خليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980.
- Anne Hénault, *Les enjeux de la sémiotique*, P.U.F, Paris, 1993.
- د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.

إن الوقوف عند بعض المصطلحات يركز أساساً على ضبط مفاهيمها في اللغة الأصلية والتحقق، أولاً، من توافقها مع الإحالات الدلالية في اللغة الهدف، والنظر، ثانياً، فيما إذا كان استعمال هذه المصطلحات مطرداً أم أنه يشكل خرقاً لما هو جار به العمل في البحوث السيميائية الراهنة.

من الواضح أن كتاب السيميولوجيا لبيار جيرو يشكل دراسة متميزة في التفكير السيميولوجي المعاصر من حيث التأريخ للحركة السيميولوجية وضبط التيارات التي تنضوي تحتها. من هذه الناحية، نعتبره نقطة معلّمة للبحوث السيميائية الراهنة وخلفية علمية أساسية لكل قارئٍ يطمح إلى امتلاك المبادئ الأولية في هذه المعرفة الجديدة. من هنا تبدو ترجمته ضرورية في الوضع الراهن للبحث.

إن الترجمة التي قدمها أنطوان أبو زيد [1984] ومنذر عياشي [1988] تعد مغامرة صعبة لاعتبارات عديدة. أولها: لقد ظهرت هذه الترجمة في ظروف عصيبة جداً لم تكن تساعد في جميع الحالات على تبليغ هذه المعرفة حيال التيار التقليدي الذي عمل على إفشال كل مسعى يدعو إلى التفكير الجاد فيما يطرح من إشكالات علمية. ثانيها: إن القارئ العربي لم يكن مهيباً لتلقي هذه المعرفة التي ترتعن في وجودها إلى منظومة علمية مدروسة سلفاً في ضوء المستجدات العلمية. ثالثها: إن البحث السيميولوجي العربي في الثمانينات كان في بدايته، وحتى المصطلحية المعتمدة في هذا التوجه الجديد لم ترق لتشكّل خطاباً علمياً موحداً يستمد مكوناته من التحري البحثي الجماعي. وقد أثر هنا هذا الوضع سلباً في عملية تلقي المعرفة السيميولوجية. رابعها: إن هذه الترجمة تعد من المحاولات الأولى في الممارسات النقدية، وهي على هذا الأساس وكأي جديد فإنه يلقي مقاومة عنيفة من أولئك الذين يعملون على تكريس الجمود في الفكر. بالإضافة إلى ذلك، كانت الساحة النقدية تفتقر إلى نماذج علمية سابقة عليها.

ومع ذلك، فإن هذه الترجمة كان لأصحابها الفضل في تنبيه القارئ العربي بالقفزة النوعية التي حققها الآخر وتحريضه على ضرورة الاطلاع على النتائج العلمية الهامة التي حققها.

إن أول ملاحظة يمكن أن نقيدها بخصوص ترجمة كتاب بييرو غيرو هو أن الدكتور منذر عياشي ترجم هذا الكتاب بقطع النظر عن الجهود التي بذلها الأستاذ أنطوان أبو زيد في نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية [1984]. وكان من الممكن جداً أن يستفيد من ترجمته ومن الطريقة التي سخرها في نقل المصطلحية السيميولوجية. إن أول صدمة يتلقاها القارئ بدءاً من العنوان هذا التضارب المصطلحي بخصوص نقل مصطلح sémiologie.

أنطوان أبو زيد: السيمياء.

منذر عياشي: علم الإشارة، السيميولوجيا.

ينبغي أن نتساءل في هذا المقام عن التبريرات المنهجية التي تقف وراء اختيار السيمياء كمقابل ل sémiologie و sémiotique؟ فهو يحتفظ منذ البداية بترجمة واحدة: السيمياء.

إن هذين المصطلحين « يغطيان نفس المضمار. فالأوروبيون يسلمون بالتسمية الأولى، بينما يتمسك الأنكلوساكسونيون بالثانية»<sup>(1)</sup>. ويبدو أن أوسوالد ديكر و ترفيطان تورردوروف في كتابهما الجماعي الموسوم: القاموس الموسوعي في نظرية الكلام ارتكزا على هذه المقولة البارثية للقول بأن التسميتين مترادفتان وتحيلان على ممارسة علمية واحدة:

“La sémiotique (ou sémiologie) est la science des signes”

«السيميائية (أو السيميولوجيا) هي علم الدلائل»<sup>(2)</sup>.

تأسيساً على هذا التعريف بنى الأستاذ منذر عياشي ترجمته للسيميولوجيا لبير جيرو: علم الإشارة/ السيميولوجيا. إن قراءة متأنية للعنوان المترجم تقودنا للقول بأن تصدير الكتاب بعنوانين [ترجمتان مختلفتان لمصطلح واحد بحيث يحتوي الأول (علم الإشارة) الثاني

(السيمولوجيا) يوحي بتردد الباحث في أثناء الترجمة بين مصطلحين: هل يترجم التعريف الذي تحيل عليه الممارسة العلمية أم أنه يجنح إلى ترجمة المصطلح. وفضل في النهاية أن يترجم تعريف السيمولوجيا [علم الإشارة] على أن يلحقه بتعريف المصطلح [السيمولوجيا] حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

وإذا دققنا النظر في ترجمة هذا الكتاب ككل، يمكن أن نلاحظ أن تقديم الأستاذ مازن الوعر الذي يتصدر الترجمة تضمن مصطلحات كنت أتوقع في البداية أنها مشتركة بينه وبين الأستاذ منذر عياشي، وكنت مقتنعاً أيضاً بأن هذه المقدمة ستعكس الإرهاصات الأولى للبحوث الجماعية العربية فتحقق الحد الأدنى من الاتفاق على الأقل بخصوص المصطلحات الأساسية. ويكفي أن نقرأ مقطعاً من النصين لتتأكد من وجود الاختلافات الجوهرية بينهما:

- مازن الوعر: /sémiologie / علم السيمولوجيا /système / نظام (ص 13)، /sémiotique / سيمولوجيا (ص 10).

- منذر عياشي: /sémiologie / علم الإشارة، السيمولوجيا، /système / نسق (ص 23)، /sémiotique / سيميائية (ص 24).

وإذا انتقلنا إلى الكتاب الموسوم **مراهنات دراسة الدلالات اللغوية**<sup>(3)</sup>، فإن أول إشكال يواجه القارئ يتمثل في الالتباس الحاصل من ترجمة العنوان: **Les enjeux de la sémiotique**<sup>(4)</sup>.

حتى نتأكد من صحة هذه الترجمة، سننتقل من اللغة الهدف إلى اللغة الأصل:

مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ← Les enjeux de l'étude des significations linguistiques

إن الترجمة في هذا المقام غير مستقيمة. ولتفادي هذه المشكلة ينبغي أن نعيد النظر في هذه الترجمة. ونميل في هذا المقام إلى استعمال مصطلح السيميائية كمقابل لـ sémiotique لشيوعه في الدراسات السيميائية العربية أولاً، ولدلالة/ السيمياء/ على العلامة في المعاجم العربية القديمة<sup>(5)</sup>. وتكون السيميائية العلم الذي يعنى بالعلامة. إذا ارتكزنا على تعريف تودوروف وديكرو المثبت سلفاً. ونتيجة للتطورات التي شهدتها البحوث السيميائية الراهنة، أضحت تتميز السيميائية [مدرسة باريس] بالبحث عن التجليات الدالية للأنظمة اللسانية وغير اللسانية. تأسيساً على هذا تكون ترجمة عنوان كتاب آن إينو على النحو الآتي: **رهانات السيميائية.**

ويبقى الإشكال نفسه قائماً بخصوص ترجمة مصطلح carré sémiotique **المربع الدالي**. ذلك أن الصفة/ دالي/ توضع عموماً كمقابل لمصطلح sémiotique.

وقد قيّدنا نفس التداخل في كتاب: «**المصطلحات الأدبية المعاصرة**»<sup>(6)</sup>. يقدم الأستاذ سعيد علوش الترجمات الآتية:

أ - السيميائية: sémiotique.

ب - التحليل السيمي: analyse sémiotique.

ج - علم العلامات: semiologie.

د - المستوى السيميولوجي: niveau sémiologique.

إذا دققنا النظر في أ و ب، نلاحظ أن المقابل: التحليل السيمي analyse sémique يحيل على مجموعة من الإجراءات التي تمس الحدود المعنوية للوحدات المعجمية نلمس هذا التوجه في التعريف الذي بناه غريماس على الحدود المفهومية للسيم seme إنطلاقاً من الأسس النظرية

التي وضعها بيرنار بوتتي Bernard Pottier<sup>(7)</sup>: « يهدف التحليل السيمي إلى رد المعاني إلى الحدود السيمية، نعني بذلك الشبكات المنظمة للحدود الابتدائية»<sup>(8)</sup>. ويتضمن التحليل السيميائي analyse sémiotique مجموعة من الإجراءات الخاصة بتحليل شكل المضمون إنطلاقاً من تحديد الصعيدين السطحي [المكون السردي، المكون الخطابي] والعميق. تأسيساً على هذا، نلاحظ الفوارق الجوهرية التي تقوم بين المصطلحات، وقد يؤدي تضاربها إلى خلط المفاهيم ونسف علة وجود المصطلح.

ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن الباحث استعمل ترجمتين مختلفتين [علم العلامات] [المستوى السيميولوجي] لمصطلح واحد خضع في اللغة الأصل لعملية الاشتقاق sémiologie/ sémiologique. ومن الأولى أن يركز الباحث على المنطلقات الاشتقاقية في اللغة الهدف، وتكون محصلة ذلك:

علم العلامات: sémiologie.

علاماتي: sémiologique.

ومع ذلك، فإننا نفضل الترجمات الآتية:

المستوى السيميولوجي: niveau sémiologique.

السيميولوجيا: sémiologie.

ينبغي أن نشير في هذا المساق إلى وجود تضارب في الترجمات العربية لمصطلحي سيميائية/ سيميولوجية وهو ناتج أصلاً عن الاختلافات الموجودة في البحوث السيميائية الأوروبية بخصوص الموضوع الذي ينبغي أن تستقل به كل ممارسة. حتى نوضح هذه المسألة، ينبغي أن نشير إلى التصريح الذي أدلى به غريماس في السابع من شهر جوان 1974 في صفحة خصصتها جريدة لوموند Le Monde لعلم الأدلة:

«أعتقد أنه لا يجب أن نولي أهمية للنزاع حول الكلمات في الوقت

الذي تنتظرنا فيه أشياء كثيرة. عندما تعلق الأمر منذ ست سنوات [1968] بإنشاء جمعية دولية كان يجب أن نختار بين المصطلحين. تحت تأثير جاكوبسون، وبالاتفاق مع ليفي ستروس وبنفنيست وبارث وأنا شخصياً، وقع اختيارنا على «السيميائية». غير أن لمصطلح السيميولوجيا جذور عميقة في فرنسا مما أدى إلى الاحتفاظ بالتسميتين (...). بناء على نصيحة هيالمسلاف، يمكن أن نفهم من السيميائيات البحوث الخصوصية المتعلقة بالمجالات الخصوصية، وتكون السيميولوجيا النظرية العامة لكل هذه السيميائيات»<sup>(9)</sup>.

بناء على الملاحظات السابقة، نلاحظ أن الترجمة الفاعلة تنطلق، في البداية، أساساً من فهم وتمثل مفهوم المصطلح في اللغة الأصل وضبط إطاره النظري. إن الابتعاد عن هذه التوجهات الأساسية في العمل الترجمي كثيراً ما يؤدي إلى اضطراب في الفهم مما ينعكس سلباً في عملية تلقي الرسالة على نحو ما نلاحظ ذلك في ترجمة النص الآتي:

Le savoir n'a de sens dans une vie que s'il est un vouloir-savoir ou un faire - savoir, s'il fonde l'activité de l'homme en tant que quête<sup>(10)</sup>...

إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا كانت إرادة معرفة أو إعطاء معرفة، تأسيس فعالية الإنسان كاستجدا... .

يحدد غريماس في هذا المقطع الشروط الأساسية لوجود المعرفة، وهو وجود يرتهن إلى برنامجين أساسيين:

- يتحقق البرنامج الأول بتأسيس فاعل ممتلك لرغبة في الدخول في وصلة بالمعرفة، وعليه، فإن فعله [نشاطه] ينضوي تحت عملية التحري بهدف سد الافتقار réparation du manque.

- يتحقق البرنامج الثاني عبر فاعل مالك لرغبة في تبليغ المعرفة. إن



غريماس في هذا البرنامج لا يشير إلى الإرادة غير أننا نفترض وجودها إذ لولاها لما امتلك الفاعل الكفاءة لتحقيق الأداء.

يمكن أن نلاحظ أن الباحث ترجم النص ترجمة حرفية دون أن يكثر في ذلك للجوانب النظرية للمصطلح لوضع الشروط الضرورية المؤدية إلى امتلاك أو تبليغ المعرفة ذلك أن الاستجداء في الاصطلاح اللغوي مشتق من:

جدا فلاناً وعليه جدوا وجدا: أعطاه.

جدا جدياً: سأله الجدوى.

الجدوى: العطية.

اجتداه: استجداه: طلب منه الجدوى<sup>(11)</sup>.

إن الاستجداء في بعده الدلالي يفتقد إلى الفاعلية والمستجدي يحتل دائماً وضع فاعل حالة *sujet d'état* يكون فاقداً لموضوع القيمة أو مالكاً له من هنا وجب أن نفكر في مصطلح آخر يحقق الفاعلية في منظورها السيميائي. من خلال معاينتنا للمصطلحية المعتمدة في البحوث السيميائية العربية، فإننا نرجع استعمال مصطلح التحري لأنه يتوافق، من جهة، مع ما يناسب عادة من فاعلية للفاعل المنفذ *sujet opérateur*، وينسجم، من جهة أخرى، مع الوحدات المعنوية التي يحملها مصطلح التحري على نحو ما نلاحظ ذلك في اصطلاحه اللغوي:

- حرى الشيء، تحراه وتحرى عنه: اتجه نحوه<sup>(12)</sup>. إن المسار الدلالي

المحقق في / التحري / يناظر تماماً التعريف الذي وضعه غريماس لمصطلح *quête*. إنه يستعمل للدلالة على تنقل الفاعل في اتجاه موضوع القيمة<sup>(13)</sup>.

من هذه المنطلقات المنهجية، يمكن أن يترجم المقطع المسجل أعلاه على النحو الآتي:

«إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا كانت رغبة في تلقي أو تبليغ المعرفة، وأسست نشاط الإنسان بوصفه تحرر...».

إن الترجمة، في تقديرنا الخاص، ينبغي أن تؤدي وظيفتها التواصلية إنطلاقاً من قراءة النص الأصل وتمثله وفهم مصطلحاته الأساسية في ضوء الإحاطة بأسبقيتها النظرية والنظر إليها من زاوية تتيح الوقوف عليها في علاقتها بالمصطلحية المعتمدة في التوجه السيميائي. بهذه الرؤية يكون الفاعل المحلل قد حقق نسبة عالية من الفهم والتأويل لا يسعه في المرحلة الثانية سوى نقل هذه الحمولة المعرفية في اللغة الهدف. وفي هذا الموضع بالذات تبدأ الصعوبة ويطرح السؤال بخصوص الأولوية التي ينبغي أن تعقد في اختيار هذا المصطلح أو ذاك. إن اختيار المصطلح المناسب يتوقف على معاينة المصطلحية المعتمدة في البحوث والقواميس العربية، وضرورة الاستناد إلى ما هو شائع منها، والاعتماد، في حالة حدوث الاختلافات بين الباحثين، على جهود الباحثين القدامى في المجالات اللغوية والفلسفية، والارتكاز على الإمكانيات الاشتقاقية التي تزخر بها اللغة العربية.

## الهوامش

- (1) بيار غيرو، **السيميائية**، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى، 1984، ص. 6-7 عن:
- R. Barthes, **Eléments de sémiologie**, Communications no 4.
- 2) Oswald Ducrot, Tzvetan Todorov, Dictionnaire en cyclopédique des sciences du langage, Seuil, Points, 1972, p. 113.
- (3) آن إينو، **مراهنات دراسة الدلالات اللغوية**، ترجمة د. أوديت بتيت ود. خليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980.
- 4) Anne Hénault **Les enjeux de la sémiotique**, P.U.F, Paris, 1993.
- (5) نذكر على سبيل المثال معجمي:
- الجوهري أبو نصر بن حماد، **الصحاح في اللغة والعلوم**، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974، مادة سوم، ص 631.
- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ج 4، ص 135.
- (6) د. سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.
- (7) د. رشيد بن مالك، **قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص**، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- (8) المرجع نفسه.
- (9) المرجع السابق، ص 185/184.
- 10) A.J. Greimas in Anne Hénault, **les enjeux de la sémiotique**, P.U.F, Paris, 1993, p.5.
- (11) إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989، مادة جداً.
- (12) المرجع السابق، مادة: حرى.
- 13) A.J. Greimas, J. courtés, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Hachette, Paris, 1979, p. 305.

## مراجع البحث

- الجوهري أبو نصر بن حماد، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974، مادة سوم، ص 631.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ج 4، ص 135.
- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989.
- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- بيير جيرو، علم الإشارة، السيميولوجيا، ترجمه عن الفرنسية الدكتور منذر عياشي، ط1، دمشق، دار طلاس، 1988.
- بيار غيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى، 1984.
- آن إينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ترجمة د. أوديت بتيت ود. خليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980.
- د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.
- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989.
- Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique, P.U.F, Paris, 1993.
- A.J. Greimas, J. courtés, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979.
- Pierre Guiraud, la sémiologie, P.U.F, Paris, 1973.

\* \* \*